Journal of Alasmarya University
Volume 9, June 2008

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد التاسع، يونيو 2008

# الخبر في التراث الأدبي

د. أبو بكر محمد سويسي*

## الدلالة المعجمية للخبر

أحاول من خلال الوقوف أمام مادة: خ. ب. ر في المعاجم اللغوية أن أتبين التطور الذي قطعته هذه المادة، والمسار الذي تنقلت فيه دلالاتها المتعددة، لأكشف عن سماتها المبثوثة في تضاعيف استخدامها؛ وأول ما يطالعني من هذه المادة معنى يتصل بالأرض المنخفضةالمنبسطة؛ «فالخَبَارُ من الأرض ما لان ... وهو ما استرخى من الأرض وتحفّر، ... وهو ما تهوّر وساخت فيه القوائم»[1]، و أيضاً «الخَبْر منبت السدر في القيعان ... وفيها ينبت الخَبر وهو شجر السدر والأراك وحواليها عشب كثير»[2]، وتبدو العلاقة منطقية بين هذه المعاني؛ فما لان وانخفض كان مستقراً للماء، وما كان مستقراً للماء كثر فيه الشجر والزرع.

ومن هذه المعاني ظهر معنى آخر نراه في مثل قول ابن منظور: «والخَبْر والخِبْر المزادة العظيمة [وهو ما يحمل فيه الماء كالقربة والراوية] والخَبْر والخِبْر: الناقة الغزيرة اللبن ... والخُبْر والخُبْرة: اللحم يشتريه الرجل لأهله»[3]، وفي هذا الاستخدام نلحظ دلالة الاستتار والتخفي في كل من الماء داخل المزادة واللبن داخل الضرع، واللحم داخل الجلد، وهذا التستر يتشاكل مع التستر في الأرض المنخفضة المزروعة؛ ولما كان

---

* الجامعة الأسمرية.

1- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة. مادة: خ. ب. ر.

2- المصدر نفسه.

3- المصدر نفسه.

المتستر أمراً غير مدرك ولا معلوم احتيج إلى التعرف عليه واستكناهه للإحاطة به، فتضمنت دلالة العلم والإدراك، فجاء «والخِبْر والخُبْر والخِبرة والخُبرة والمَخْبَرَة والمَخْبُرَة كله: العلم بالشيء ... وقولهم: لأخبُرن خُبْرك، أي لأعلمن علمك»[4]، وأيضاً «وأخبره: نبأه، واستخبره سأله عن الخبر وطلب أن يخبره ... والخبير العالم»[5].

وما يتصل من هذه المعاني بهذه الدراسة ينحصر في المعنى الأخير وهو المعنى الذي تناول الأدباء والنقاد فيه لفظ الخبر، وما يلاحظ من علاقة بين هذا المعنى وبين ما تقدمه هو أن الوقائع والحوادث -وهما أساس الخبر- تلتقي مع ما تقدم في نقطة الاستتار والتخفي، فهي أحداث تقع بمعزل عن الإدراك البصري أو السمعي فتكون من أصناف المجهول وغير المعلوم، فكانت الحاجة ملحة إلى الإبراز ليتم الإدراك والتواصل، فتضمن الخبر دلالة الإعلام والإنباء بأن تخرج الهيئة الأولية من حيز الوقائع والأحداث إلي حيز الخطاب المستعمل لنقل الأحداث إلى السامع أو القارئ على نحو من البراعة في القص.

## الدلالة الاصطلاحية للخبر

وهنا أتوقف عند جملة من الموسوعات باحثاً عن الدلالة الأدبية لكلمة الخبر من بين جملة الدلالات المباينة لها، وفي معرض الحديث عن ثقافة الكاتب وما يحتاجه من الأمور يشير ابن خلدون (ت 808هـ) في تعريف علم الأدب إلى أنه علم «لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، هي الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الإجادة ومسائل من اللغة والنحو ... وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة»[6]، فجعل الإلمام بالخبر من جملة ما يحتاجه الأديب بجانب الإجادة في المنظوم والمنثور؛ وقد يفهم من اقتران لفظ الأخبار عند ابن خلدون بالأنساب ووصفها بالعموم بأن المقصد أقرب إلى التاريخ منه إلى الأدب، غير أنه أوضح هذا بقوله: «الأدب هو حفظ أشعار

4- ابن منظور، لسان العرب.

5- المصدر نفسه.

6- ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت ص612.

العـرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف»[7]، فهذا العطف يدل على أن الأخبار من ضـمن فـروع الأدب مسـاوية للشعر، وكأنها مرادفة للنثر، ومع هذا الإثبات لأدبية الخبر ووظيفـته الجمالـية الـتي تهدف إلى التأثير والإيهام لا يزال الغموض محيطا بأدبيته حين تـتجاذبه الأطراف المعرفية بأشكالها، بل أحياناً تغفله الموسوعات ولا تذكره، كما انتهى إلـيه حالـه مـع حاجي خليفة (ت 1067هـ) عند حديثه على تقسيم العلوم إلى ثنائيات شـرعيه وفلسـفية، وإلى نظـرية وعملـية، وإلى مقصـودة لذاتها وغير مقصودة لذاتها؛ فلا نجد إشارة منه إلى الأخبار لا بحكم معرفتها التاريخية ولا معرفتها الأدبية[8].

أمـا الـتهانوي (ت 1158هـ) فإنه عقد فصلا للخبر مقيدا إياه بحسب العلوم التي يُعـرض فيها، فالخبر «أعم من الحديث لأنه يصدق على كل ما جاء عن النبي ﷺ وعن غـيره، بخـلاف الحـديث فإنـه يخـتص بالنبي ﷺ فكل حديث خبر من غير عكس كلي، وقـيل هما متباينان، فإن الحديث ما جاء عن النبي ﷺ والخبر ما جاء عن غيره، ومن ثم قـيل لمـن يشـتغل بالـتواريخ وما شاكلها الإخباري»[9]، وغاية ما يطالعنا عنده في أدبية الخـبر قـوله: «وقد أطلق لفظ الخبر عند أهل البيان والأصوليين والمنطقيين والمتكلمين وغيرهـم علـى الكلام التام غير الإنشائي فمن لم يثبت الكلام النفسي يطلقه على الصيغة الـتي هـي قسـم مـن الكلام اللفظي اللساني لا غير، وأما من أثبت الكلام النفسي فيطلقه على الصيغة وعلى المعنى»[10].

فهـذا الإطـلاق مـن شـأنه أن يـنحو بالخـبر ناحـية القول، فيكون الخبر قد استمد حقيقته من ذاته لا بالحكم عليه من جهة كونه صدقاً أو كذباً، ولهذا تعلق بالخبر بوصفه بناء سردياً.

ومـا نلحظـه فـيما تقـدم أن هذه المصادر الموسوعية لم تعن عناية بارزة بتحديد ماهـية الخبر ضمن الأجناس الأدبية الشائعة، بل كانت تهدف إلى ما يحتاجه الكاتب في صـناعته، وعـرض معانـي كلمة الخبر في فروع المعرفة؛ ولعل الرجوع إلى المصنفات الأدبـية الأولى يكشف جانبا من أدبية الخبر ومنزلته من التراث الأدبي عن طريق تتبع ما

7- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون.

8- ينظر خليفة، حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر 1982 م ج1 ص11.

9- التهانوي، المولوي محمد:كشاف اصطلاحات الفنون، شركة خياط للكتب والنشر بيروت ج2 ص381.

10- المصدر نفسه ص 410.

مـن شـأنه أن يوحـي بـإدراك السـبيل الـذي سلكه الخبر حتى أصبح مصطلحا على لون معـين مـن البُنـى السـردية؛ وابـتداء بما تدل عليه كلمة أدب من منظوم ومنثور ومحاولة تنزيل الخبر ضمنها، فإن الجاحظ (ت255هـ) له قول فيما يدخل تحت هذين القسمين، نصـه: « فليس يعـرف فـروق الـنظم واخـتلاف الـبحث والنشر إلا من عرف القصيد من الرجـز، والمخمـس مـن الأسـجاع، والمزدوج من المنثور، والخطب من الرسائل »[11]، ويـدل هـذا على أن المعرفة بالشعر والنشر تكمن في مدى معرفة الأنواع الداخلة في كل مـنهما، وأن معـرفة هـذه الأنواع والتمييز بينها كان أمراً ممكنا وظاهراً، وإن كان لم يرد ذكـر للخـبر هـنا إلا أنـه ثبت استعمال النشر بمعنى الخبر؛ ومن فإن هذا « أول ما يجب علـى العاقـل المنفصل بصفته عن الجاهل أن يتبعه ويميل إليه ويستعمله ويحرص عليه مجالسـة الـرجال ذوي الألـباب والنظـر في أفـانين الآداب وقـراءة الكتب والآثار ورواية الأخـبار والأشـعار »[12]، وفي مصـدر آخـر « فأمللـت هذا الكتاب ... وأودعته فنونا من الأخبار وضروباً من الأشعار »[13].

وبالنظر إلى الخبر والتعامل معه داخل دائرته الأدبية نرى استعمال الخبر معطوفاً علـى الشـعر ممـا يوحـي بأن المقصود به هو النشر، وهذا يدل علي تبوئ الأخبار مكاناً مميـزاً في الـتراث الأدبـي، وبهـذا العطـف والتفريع على الشعر يجوز اعتبار الأخبار في المقام الثاني بعد الشعر، يقول الوشاء (ت 325هـ): « قد جمعنا في هذا الفصل أشياء من مسـتطرفات الأشـعار و مستحسـن الأخـبار ومتـنخل الأبيات ومنتخب المقطعات »[14]، فحصـل إيـثار للفـظ الخـبر علـى غـيره نتـيجة مـا يؤديه الخبر من مهام وما يحوي من سمـات وخصـائص؛ « لأن كثـرة السـماع للأخـبار العجيـبة والمعانـي الغـريبة مشحذة للأذهـان ومـادة للقلـوب وسـبب للـتفكير وعلة للتنفير عن الأمور، وأكثر الناس سماعا أكثـرهم خواطـرا »[15]، ويسـتدل مـن وصـف الأخـبار بالعجيـبة والغريبة على شمولية

11- الجـاحظ، أبـو عـثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت ط 1. 1991 م ج 4 ص 31.

12- الوشـاء، محمـد بـن أحمـد: الموشـى أو الظرف والظرفاء، شرح: عبد الأمير مهنا، دار الفكر اللبناني، بيروت ط 1. 1990 م ص 22.

13- القالي، إسماعيل: الأمالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1. 1996م، ج 1 ص 3.

14- الوشاء، محمد بن أحمد: الموشى أو الظرف والظرفاء، ص 261.

15- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، ج 3 ص 239.

الأخبار دون انحسارها في نمط معرفي معين، بل كأنه يصفها من جهة الأديب والمبدع الذي يعمل على إيجاد علاقات متعددة بين النص والمقام، للارتقاء بالبنية السردية بما يكفل لها القدرة على التأثير والإبداع.

وهذا الإيثار للفظ الخبر بدلالته السردية يضع أمامنا جملة من الألفاظ التي تحوم حول القص والسرد، ومنها: القصة، والحديث، والخبر، والمثل ...، فهذه المسميات التي تحمل في دلالتها ضروباً من السرد لم يكتمل لأحدها ما اكتمل للفظ الخبر من شيوع واستخدام منذ القرن الهجري الأول؛ ويتجلى ذلك في عناوين المؤلفات من نحو: أخبار اليمن لعبيد بن شرية الجرهمي (ت 67هـ) والأخبار الطوال لأبي حنيفة (ت 150هـ) والأخبار الموفقيات للزبير بن بكار (ت 256هـ) وعيون الأخبار لابن قتيبة (ت 267هـ)، فهذه الألفاظ التي استعملت للدلالة على فنون القص لا تكاد تنفصل عن بعضها بشكل قاطع، فالخبر ظل في فترات مختلفة متعدد المعاني، فهناك الخبر في النحو، والخبر في البلاغة، والخبر في علوم الحديث النبوي والخبر في الخطاب السردي.

ومما يحول دون التمييز التام بين هذه المصطلحات ثنائية استعمالها، فهي في سياقات تستعمل للدلالة على الخطاب السردي، أي الكلام الذي يتخذ منه الراوي آلة يتوسل بها لنقله إلى المتلقي، وفي سياقات أخرى تستعمل للدلالة على الخبر التاريخي أي الحدث ذاته؛ وإن كان يبدو أن مصطلح الحكاية والقصة قد استقلا بالسرد الأدبي، ومعنى الخطاب التاريخي يغلب على القصة، وأن الأمر بالتناوب في مصطلح الخبر بين الدلالتين، ولعل هذا ما جعل لكلمة الخبر صدى أوسع من مثيلاتها نظرا لمرونتها وثرائها، فقد ألف الزبير بن بكار ثلاثة وثلاثين كتاباً وردت كلمة الأخبار في عناوين سبعة وعشرين منها[16].

و محاولة للوقوف على حد الخبر أعرض جملة من الأقوال التي يمكن اعتمادها منطلقاً أساسياً لبلوغ ذلك، فقد ذكر ريجيس بلاشير أثناء حديثه عن الأدب القصصي في العربية في القرن الأول الهجري أن « المكانة التي أخذت تحتلها في هذا الأدب القصصي كلمة الخبر شيئاً فشيئاً إلى جانب كلمة الحديث مكانة مخصوصة ... فهي لا تعني إعلاماً بصفة عامة، بل إعلاماً حدثياً أو سيريا »[17]؛ ويتضح من هذا أن

16- ابن النديم، محمد: الفهرست، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1. 1996 م ص 177- 178.

17- نقلا عن: القاضي، محمد: الخبر في الأدب العربي، كلية الآداب، منوبة، تونس. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1. 1998 م ص 113.

الخبر قد مر بمرحلتين:

الأولى: اقتصر فيها على الوقائع التاريخية، والأخرى: تكمن فيما نشأ بين الخبر وبقية المعارف من علاقات، هذه العلاقات التي يستمد منها العربي أفكاره وثقافته، وبالطبع سيكون أثر هذا التآلف إيجابياً على الخبر الذي به تحول من دائرة التاريخ إلى دائرة القصة والسرد.

وممن عنوا بدراسة الخبر وتعريفه استيفن ليدر الذي خصه بما نراه مقوما أساسياً وهو قدرته على الحركة، فالخبر إلى جانب تنوع وروده محلياً وسط المؤلف من بدايته إلى نهايته فهو لا يفتأ يتلون بلون أسانيده ولون الراوي ولون السياق، بل ولون الكتاب الذي يورده، فما يورد في كتاب جامع لفنون الأدب قد يتقاطع مع ما خصص لأدب الأخبار، « فالأخبار ذات الخاصية السردية المتميزة على وجه الخصوص كثيراً ما تظهر في أشكال مختلفة، حتى إنه من العسير علينا أن نردها إلى قالب واحد مشترك، واختصارا لهذه الرؤية الأولية فإن الخبر يعتبر مقوما متحركا يمكن أن يظهر في مستويات مختلفة من مسار إنتاج معقد»[18]؛ وما يسفر عنه هذا العرض أن الخبر وحدة سردية تتابعية مستقلة تتضمن أحداثاً يجسدها شخص أو شخصيات قد تكون تاريخية أو غير تاريخية، وله صور وأشكال متنوعة من حيث الشكل والمضمون، فالشكل قد يطول إلى أن يبلغ صفحات عديدة، وقد لا يتجاوز أسطرا محدودة، وقد يعتمد البنى الحوارية أو السردية، والمضمون وإن كان ثابتاً إلا أنه ينتابه تطور، وتحصل فيه إضافة دلالية باختلاف المقامات، ولعل هذا التنوع والاختلاف حال دون التحديد الأمثل للخبر باستثناء كونه بنية سردية مستقلة قائمة على التتابع في الأحداث المتجسدة بأفعال الشخصيات.

## الخبر والسياق التاريخي

من أجل أن نتمكن من إدراك خصائص الخبر والمراحل التي تطور فيها يلزمنا الوقوف عند تاريخ النص الإخباري التراثي لكونه مدخلا مهما للوقوف على السمات والخصائص بشكل أظهر، وبما أن الخبر فن نثري فإننا نلتمس تاريخه عند من تحدثوا

18- ليدر، ستيفن: في مقال بعنوان التأليف والرواية في الأدب المجهول المؤلف، نقلاً عن: الخبر في الأدب العربي ص 117.

عـن تاريخ النثر العربي والذين اختلفوا في أوليته إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأول يرى أن « كل ما يضاف إلى اليمنيين من نثر مرسل أو مسجوع أو خطابة في الجاهلية مرفوض لا قـيمة لـه ولا حظ له من الصحة انتحل بعد الإسلام انتحالاً ... أما عرب الشمال فلابد من أن نقف من نثرهم موقفنا من شعرهم ... نرفضه ولا نكاد نقبل منه شيئا، فلم يبق إلا المضـريون ... فـنحن إذا مضـطرون إلى أن نـرفض هـذا النثـر الكـثير الذي يضاف إلى المضريين قبل الإسلام »[19]، ولعل مرد هذا النفي ما ثبت من تأخر التقييد والكتابة إلى عهد معاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ) إضافة إلى ما عرف عن الجاهليين من قلة اهتمام بالكـتابة والاعـتماد على الحفظ والبديهة، « وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال، وكأنـه إلهـام، وليسـت هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام ... فتأتيه المعاني أرسالاً، وتنثال عليه الألفاظ انثيالاً، ثم لا يقيده علـى نفسـه ولا يدرسـه أحـداً مـن ولـده، وكانـوا أمـيين لا يكتـبون، ومطـبوعين لا يـتكلفون »[20]، ويفهـم ممـا تقدم أن النفي متسلط على وجود ظاهرة الرواية الأدبية في العصـر الجاهلـي، والـتي لا يمكـن أن تتجاوز القرن الهجري الأول، فالنثر الجاهلي لا تتهـيأ لـه أسـباب الـبقاء والظهـور، إذ لا نثـر بـدون كتابة ورواية، والجاهليون أمة تعتمد الارتجـال والبداهة، وعلى هذا الرأي فإن الخبر الأدبي لا يمكن أن ترد جذوره التاريخية لأكثر من عصر صدر الإسلام.

أما المثبتون للنثر في العصر الجاهلي فيستندون إلى أن القصص أمر مألوف عند كـل الجماعـات البشـرية، والعرب لم يكونوا خارجين عنها، إضافة إلى عدد من الوقائع التاريخـية الـتي تـؤيد مـا ذهـبوا إلـيه؛ « لأن من طبع الإنسان محبة الأخبار والاستخبار، وبهـذه الجـبلة التي جبل عليها نقلت الأخبار عن الماضين »[21]، بل هناك من ذهب إلى حقـيقة التدوين في الجاهلية وتسجيل الأحداث والتأريخ للوقائع حيث يروى عن هشام الكلـبي (ت 204هــ) أنـه قال: « كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومـبالغ أعمـار مـن عمـل مـنهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم

19- حسين طه: في الأدب الجاهلي، مطبعة الاعتماد، مصر، 1927م، ص 369- 370.

20- الجـاحظ، أبـو عـثمان عمـرو بـن بحر البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ج 3 ص404، 405.

21- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، ج 1 ص 143.

وأمورهم كلها »[22].

وعلى هذا فالأخبار ليست متأخرة الظهور، وقد وجد من يدافع عن هذه الفكرة -فكرة إثبات النثر الجاهلي ومن بينه الأدب السردي والخبر لون منه- ويؤكد وجودها وروايتها، « فقد كانت الخطابة في العصر الجاهلي هي قمة البلاغة النثرية، وكان الناس لذلك يحفظونها ويروونها »[23]، وفيما يتعلق بالبناء السردي في العصر الجاهلي فإن « كل ألوان القصص التي رأيناها في العصر الجاهلي هي من باب التراث الأدبي الشعبي، أي ذلك التراث الذي لا نعرف له مؤلفين بأعيانهم ... وعلى الجملة فقد كان القصص قديماً لدى العرب منذ العصر الجاهلي »[24]، وعلى هذا فإن تاريخ الخبر ترتد جذوره إلى العصر الجاهلي، ولكن ما يستوقفنا عند المثبتين هو انعدام الأصول والمدونات التي نقلت عنها هذه الأخبار، فالأصل المكتوب لم يشر أحد إلى وجوده، وفي حال انعدام الأصل المكتوب لا يمكننا الاطمئنان إلى أن هذه النصوص قد احتفظت بصياغتها حرفياً، لأن النص الإخباري صياغة لغوية وبناء سردي، وتداول الرواة له من جيل إلى جيل يجعلنا غير قادرين على التسليم بسلامته من التصرف.

أما الموقف المحايد فإنه يعتمد على زمن ظهور هذه النصوص ودراسة سلسلة أسانيدها للوقوف على أوجه الاتفاق والتباين بينها، حيث « من الجائز لنا بفضل سلسلة الإسناد التي تؤصل أو تنزع إلى تأصيل الحكايات المختارة أن نكتشف غالباً -في النصوص التي في حوزتنا- المجلوبات التي جاءت لتطابق العناصر القديمة، وأن نكتشف اتجاهات تلك الإضافات وأن نعثر على أصل حكاية أو أسطورة ولحمتها الأولية المعدلة بضم عناصر ثانوية أو أجنبية »[25]، ولا يخلو الاحتكام إلى زمن ظهور النصوص ومقابلة الأسانيد بما تكرر منها لا يخلو من الموضوعية واتصاف بالإنصاف وجدارة بالاعتبار، مع التدقيق والنظر الفاحص إلى ما استكنّ داخل هذه الروايات من أصول تشهد على أن الأخبار التي أمامنا ليست مقطوعة تماما عما كان يزخر به العصر الجاهلي من خصائص وسمات يجب إدراكها وتمثلها.

---

22- الطبري، محمد: تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ط 6. ج2 ص37.

23- إسماعيل، عز الدين: المكونات الأولى للثقافة العربية، أبوللو للنشر والتوزيع، القاهرة، ط6. 1990م ص 70.

24- المصدر نفسه ص 133- 137.

25- بلا شير، ريجيس: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، الدار التونسية للنشر، ج 2 ص 855- 856.

وإذا ما واصلنا البحث عن منطلق الخبر في الأدب العربي فأول ما يستوقفنا ما دار حول احتواء القرن الهجري الأول لبدايات التدوين من عدمه، ولم يتبق من مدونات ومؤلفات القرن الأول إلا كتاب منسوب لعبيد بن شرية الجرهمي عنوانه: أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها[26]، وشكك المؤرخون في نسبته إليه، فقد ذكر بروكلمان أنه رأى منه نسخاً مختلفة أشد الاختلاف[27]؛ وبهذا فإن القرن الأول للهجرة لم يشهد تدوينا للأخبار، وإن حصل لها فيه تطور ونشاط من حيث الانتشار والعناية والحرص، وإن تأخراً حصل لتدوين الأخبار عن المعارف الأخرى كالحديث النبوي مثلاً، ومن هذا ما يروى عن ابن الماجشون (ت 212هـ) أنه يقول: « لقد كنا بالمدينة وإن الرجل يحدثني بالحديث من الفقه فيمله عليّ، ويذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعل، ويقول: لا أعطيك ملحي وأهبك ظرفي وأدبي »[28]، مما يوحي باستمرار ظاهرة المشافهة في القرن الثاني وأن التدوين الذي نال الحديث النبوي ما هو إلا استثناء؛ وعلى هذا فإن الذي أمامنا يشهد على أن تدوين الأخبار لم ينل حظاً كبيراً من العناية إلا في القرن الثالث، وأن حركة التدوين لا يمكن أن يتولاها أفراد بل تحتاج إلى جهد أكبر، فعملية التدوين « تمت بإشراف الدولة ابتداء من عهد المنصور العباسي الذي ولي الخلافة ما بين سنة 136هـ وسنة 158هـ وطبعت الحياة الفكرية والاجتماعية العربية الإسلامية بطابعها لفترة من الزمن امتدت نحو قرن أو يزيد فأصبحت علماً عليها، وصار ذلك العصر يسمى عصر التدوين، أما إذا فهمنا من التدوين مجرد التسجيل والتقييد وتحرير بعض المسائل في شكل مذكرات خاصة فسيكون من الضروري حينئذ الرجوع إلى الوراء بعيداً، إلى عصر الرسول والخلفاء، وفرق كبير وكبير جداً بين عمل فردي شخصي وعمل جماعي عمومي يخص الأمة بأسرها ماضيها وحاضرها ومستقبلها »[29].

---

26- مطبوع مع كتاب: التيجان في ملوك حمير، وهب بن منبه، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند 1347 هـ

27- بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف القاهرة، ط 5، ج 1 ص 250- 251.

28- الحصري، إبراهيم: جمع الجواهر في الملح والنوادر المطبعة الرحمانية، مصر ص 36.

29- الجابري، محمد: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط 8. 2002م ص 63.

## الخبر والإخباري

وأحاول هنا بيان مدى تأثير الإخباريين في النصوص الإخبارية، وموقفهم منها، وهل كان دورهم محدداً بالنقل والرواية ؟ أم كان لهم دور في الصياغة وعرض الأفكار والتركيب السردي ؟ وبالنظر إلى هذا الشأن رأيت اعتماد الإخباريين على الاختيار والتمييز، فهذا ابن بكار يستهل أخباره بقوله: « فهذه أخبار موفقات للسِيَر الذي يُتأمل بها فيُفهم معانيها ويتأدب على حسن أظرافها، وهي مجموعة من لطائف وأخبار وأشعار ونكات من كلام الزبير بأسانيدها »[30]، وهذا الدور أعلنه غير ابن بكار من معاصريه، فالجاحظ يقول: « ولو جمعنا أخبار العرب وأشعارها في هذا المعنى لطال اقتصاصه، ولكن توخينا تدوين أحسن ما سنح من أخبارهم وأشعارهم »[31]، وأيضاً: « ومتى أغفل حملة الأدب وأهل المعرفة تمييز الأخبار واستنباط الآثار ... بطلت الحكمة وضاع العلم وأميت الأدب »[32]، وإذا ما تعدينا هذا العصر نرى ثبوت هذه الخاصية؛ فهذا ياقوت الحموي (ت 626هـ) يقول: « لقد ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول وتنفر عنها طباع من له محصول لبعدها عن العادات المألوفة وتنافرها عن المشاهدات المعروفة ... وأنا مرتاب بها نافر عنها متبرئ إلى قارئها من صحتها، لأني كتبتها حرصاً على إحراز الفوائد وطلباً لتحصيل القلائد منها والفرائد، فإن كانت حقاً فقد أخذنا منها بنصيب المصيب، وإن كانت باطلاً فلها في الحق شرك ونصيب، لأني نقلتها كما وجدتها فأنا صادق في إيرادها كما أوردتها »[33].

وهذه المقولات والشواهد على طول امتدادها واختلاف أزمانها تدل على أن الإخباري يقتصر دوره على انتقاء الأخبار وتصنيفها وجمعها من مظانها، وصحة النقل والرواية مقدم على صحة المنقول عند الإخباريين، فليس من شأن الإخباري الحقيقة التاريخية، وإنما شأنه القيمة الجمالية والفنية، وهذا فرق بين الخطاب التاريخي والخطاب الأدبي.

ثم إن هناك أوجها من التمايز بين من عنوا بالخطاب الخبري ذاته، هذا التمايز

---

30- ابن بكار، الزبير: الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي العاني. مطبعة العاني، بغداد ص 31.

31- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ ج 2 ص 388.

32- المصدر نفسه ج 2 ص 383.

33- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر بيروت، ط 2. 1995 م ص 12.

في تبني الأسس والمعايير النقدية لدى كل منهم هو ما دفعه لاختيار الإخباري ابن بكار مجالاً للتطبيق، فقد جعل الاختيار والتمييز مقياساً نقدياً يحتكم إليه فيما نقل من أخبار، وبهذا ينأى بنفسه أن يكون صدى للآخرين، فأخباره مجموعة من أخبار وأشعار ولطائف أشمل وأعم، واختياره للموفقيات قام على أساس التمييز بين ما يقتضي التأمل وما لا يقتضيه، وبين ما يفهم معانيه ويسوق إلى تحصيل الإحساس والتأثير ويكون حاملاً لوظيفة الأدب الجمالية وبين ما يخلو من هذه الأسس والمبادئ التي أشار إليها نصه المتقدم.

وبهذا ينتقل من النقل المجرد إلى التوسط بين مصدر الخبر والقارئ، ومن الذاتية إلى التجرد من الانطباعات الشخصية، والتعريض في عرض الأخبار بما يوحي بالمعاني النفسية التي قد لا تخدم النص الإخباري كما تخدم غايات خارج النص، ثم إن عرض جملة من الأخبار على أساس من معايير النقد الأدبي وفي أولها القيمة التأثيرية والجمالية تفسح المجال أمام المتلقي للتفاعل مع النص الإخباري وفقا لأدواته ومرجعيته[34].

وفي هذا إنماء للنص الإخباري الذي تتعدد دلالته حينها بتعدد قارئيه، بخلاف ما لو تضمن الخبر تعليقات الإخباري وانطباعاته الذاتية، كما نرى عند الجاحظ في تعليقه على خبر السيدة عائشة -وهي تركب بغلة- مع ابن أبي عتيق حين قال لها: « إلى أين جعلت فداك ؟ قالت: أصلح بين هذين الحيين، قال: والله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل، فكيف إذا قيل يوم البغل ؟ فضحكت وانصرفت. (ويعلق الجاحظ على هذا بقوله): هذا حفظك الله حديث مصنوع، ومن توليد الروافض، فظن الذي ولّد هذا الحديث أنه إذا أضافه إلى ابن أبي عتيق وجعله نادرة وملحة أنه سيشيع ويجري عند الناس مجرى الخبر عن أم حبيبة وصفية »[35].

ومثل هذا ما نراه عند الأصفهاني (ت 356هـ) حين علق على خبر عمر بن أبي ربيعة مع الثريا، فقال: « وهذا الخبر عندي مصنوع وشعره مضعف يدل على ذلك

34- يلاحظ القارئ -فيما يأتي- تركيزا على الأخبار الموفقيات في التحليل والاستشهاد، ويرجع ذلك لهذه الاعتبارات جميعها، من كونها -الأخبار الموفقيات- تحتكم إلى مقياس نقدي قوامه القيمة التأثيرية والجمالية، والتجرد من الذاتية.

35- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ ج 2 ص 223- 224.

ولكني ذكرته كما وقع إليّ»[36].

وما سار عليه من عنوا بالموضوعية في الأخبار والانقياد لعبارة الخبر أكد وجوبه النقاد بقولهم: «وإذا دعت الضرورة إلى سوق خبر واقتصاص كلام، فتحتاج إلى أن تتوخى فيه الصدق، وتتحرى الحق؛ فإن الكلام حينئذ يملكك ويحوجك إلى اتباعه والانقياد له»[37]؛ وتعد هذه الخاصية ملازمة لأدب الأخبار التي لا تزيد في عنايتها على صحة الرواية وسلامة التمييز في النقول، فقالوا: «أما الرواة فإنما عليهم أن يعتمدوا في عملهم صدق النقل وصحة الإسناد، والراوي على ذلك هو ناقل الخبر دون نقد لمتنه، صدقا كان ذلك المنقول أو كذبا، فليس عليه من بأس في ذلك، وإنما البأس كل البأس في الوضع أو في الرواية عمن لم يرو عنه أو في التحديث عمن لم يسمع منه»[38].

## الخبر والسياق السردي

يعد الخبر خطاباً سردياً لتقديمه للمتلقي من خلال راو يتكفل بإرساله بواسطة استخراجه من مادته الحكائية الأولى وتقديمه للمتلقي، سواء كانً المتلقي مباشراً أم غير مباشر، فالخطاب السردي هو ذاك «الخطاب الذي يرسله المتكلم وهو على مسافة مما يقوله، ويتحدث إلى مروي له»[39]، فالسردية وحدة مستقلة تجسم حدثا من خلال شخصيات قد تكون تاريخية أو خيالية، وتنتج سلسلة من الدلالات عن طريق التتابع والتحولات في بنية الخطاب السردي، من حيث كونه يضم شخصيات وأحداثاً تحققت بينها السردية عن طريق العلاقات اللغوية التي بها صار الخبر هيئة قائمة في إطار لغوي.

وعليه فالخبر هو «مجموع الأحداث والشخصيات التي تمثل ضربا من المادة الخام التي بها قوام السردية قبل أن تتجسد في نص»[40]، ومن خلال النظر إلى الوحدات

36- الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2. 1992م، ج 1 ص 234.

37- العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت 1986 م ص 147.

38- خلف الله، محمد أحمد: صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة نهضة مصر. القاهرة، ط 1. 1953م، ص 6- 7.

39- يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 3، 1997 م ص 197.

40- القاضي، محمد: الخبر في الأدب العربي ص 355.

السردية داخل الخبر التراثي ومحاولة ضبط بدايتها ونهايتها، والوقوف على طبيعة الأحداث داخلها يمكن استخراج البنى الأكثر تواتراً في الخبر التراثي وما اتسمت به من سمات.

إن السردية تقع داخل بنى متعددة ومتنوعة الأشكال، وهذه البنى تمثل المخططات التي تنتهجها السردية بوجه عام، وبالوقوف أمام سردية النص الإخباري التراثي تبين أن المتواتر منها والشائع فيها من قبيل ما يسمى بالبنية البسيطة[41]، وهذه البنية تقوم على عدد من الثنائيات ذات علاقات متفاوتة، فالخبر الذي يقوم على حوار طلبي بين شخصياته تكون ثنائيته هي الطلب والقبول أو الخبر والاستخبار، ومن هذا استخبار معاوية بن أبي سفيان لعرابة الأوسي، فقد « سأل معاوية عرابة الأوسي فقال: بأي شيء سدت قومك ؟ قال: أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم، وأخف لهم في حوائجهم، فمن زاد على هذا فهو خير مني، ومن زدت عليه فأنا خير منه، ومن ساواني فهو مثلي »[42]، فثنائية الطلب والحصول التي تظهر في الكلام المتبادل بين الشخصيتين هي الخبر؛ وقد تقوم البنية على ثنائية الفعل ورد الفعل كما جرى بين عبد الله بن خالد بن أسيد أمير أهل الطائف زمن فتنة الإمام علي -كرم الله وجهه- ومعاوية، « فجاء إذنه ذات ليلة فقال: هذا عنبسة بن أبي سفيان بالباب، فقال: ائذن له فدخل عليه وهو سكران، وعند عبد الله بن خالد ابنة عثمان بن عفان وهي امرأته، فجعل عنبسة ينظر إلى جلا -يعني كوة- في البيت ويشب إليه لما به من السكر ... (فأراد ابن أسيد أن يقيم عليه الحد فقال): لا والله لا أبطل حداً من حدود الله »[43]، والحدثان -حدث السكر وحدث إقامة الحد- بينهما علاقة سببية جعلتهما في هيئة تعاقبية، وهذا يظهر بجلاء في الأخبار التي تغلب فيها الأحداث الفعلية ويكون بينها رباط تعاقبي سببي؛ وهناك أيضاً البنية البسيطة القائمة على ثنائية الضدية، أو الفعل وخلافه، بأن يحصل تحول في سردية الخبر من وضع إلى نقيضه، ومن هذا ما كان مراداً من وصف شخصية عبد الله بن الزبير حين صلب بالإساءة والخروج والعصيان إلى اتصافه بالإمامة والطاعة والشهادة[44].

وهذه جملة من الثنائيات المتداولة التي قامت عليها بنية السرد البسيطة للنص الإخباري، ولعل شيوع هذه البنية يرجع أساساً إلى طبيعة الخبر الانتقالية، فهو وحدة

41- يولس، أندري: الأشكال البسيطة، نقلا عن الخبر في الأدب العربي ص 362.

42- ابن بكار، الزبير: الأخبار الموفقيات ص 187.

43- المصدر نفسه ص 297.

44- المصدر نفسه ص 494.

سـردية متـنقلة عبر الزمن، وهذا التنقل والتواتر يستدعي بساطة البنية أكثر مما يستدعي تعقـيدها وتـركيبها، إضـافة إلى أن الأخبار الموفقيات تتزامن مع أوليات عصر التدوين والتأليف، الأمـر الـذي يظهـر قـرب عهـدها بعصر المشافهة والرواية، ومن ثم لا تخلو الموفقـيات مـن اعـتماد علـيها، غـير أن هـذا لا يعني خلو الموفقيات من البنية السردية المـركبة الـتي يكون الخبر فيها متضمناً خبراً أو أخباراً أخرى، فيكون الخبر بمثابة إطار بالنسبة لما يضمه، ونلاحظ طول الخبر مع هذه البنية وضرورة اتصاله بالتدوين والكتابة؛ لأن طـول الـنص الإخباري يحول دون استقامة الرواية الشفاهية، وتمت الإشارة إلى هذا بقولهم: « إن الإبداع الموسوم بالشعبي أي الذي لا نعرف مؤلفوه، لم يشهد لانعدام الوعي الفـردي فيه إلا نمطا أوليا من أنماط الترابط »[45]، ومن هذا في الموفقيات ما جرى بين عمـرو بـن معد يكرب وعمر بن الخطاب من إخبار عمرو أمير المؤمنين بما أوتي من بسـطة في القوة والجسم، فقاده الخبر إلى سرد مجاوراته لأحياء العرب من قبل عشرين سـنة[46]؛ وهـذه البنـية المـركبة تتكون من وحدات سردية يمكن أن تستقل عن بعضها، غير أن ضمها ونظمها في عقد واحد يظهر بنية جديدة لها سماتها وخصائصها.

## البنية السردية ونظام الأخبار

إن كـثيراً ممن عنوا بدراسة المصادر الأدبية المتضمنة لأدب الأخبار يصفونها –فيما يخص نظام موضوعاتها وترتيب أفكارها– بالاضطراب وعدم النظام، ويعزون ذلك إلى جملـة مـن الأسـباب، كاتخـاذ الأخـبار مطـية للشواهد النحوية والاحتجاج بما فيها من غـريب اللغة وأشعار، « إن دأب الجاحظ في تأليفه أن يرسل نفسه على سجيتها، فهو لا يتقـيد بـنظام محكم يترسمه، ولا يلتزم نهجاً مستقيماً يحذوه »[47]، وهذا الوصف يلحق الكـثير مـن مصـادر الأدب، مـع إشـارة بعضهم إلى إدراك خاصية التنظيم والتبويب فيما يصـنفون، ممـا يبين جزءا من الجهد المبذول من قبلهم في إقامة مبدأ الترتيب والتنظيم، ومـن هـذا قـولهم: « وهـذه عيون الأخبار نظمتها ... وصنفتها أبواباً، وقرنت الباب بشكله

45- شكلولوفسكي: بناء الأقصوصة والرواية، ضمن كتاب نظرية الأدب: نصوص الشكلانيين الروس، ص 190 نقلا عن الخبر في الأدب العربي ص 364.

46- ينظر ابن بكار، الزبير: الأخبار الموفقيات ص 479 وما بعدها.

47- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين ج 1 ص 6.

والخبر بمثله والكلمة بأختها ليسهل على المتعلم علمها وعلى الدارس حفظها »[48]، غير أن هناك من كان له نظر في الترتيب وخلافه، وأن لكل دورا في تحصيل الاتصال بين المبدع والمتلقي، فبنى مؤلفه على هذا الأساس من التأليف، فكان مقيماً للوصل بين الموضوعات في مقام الوصل، ومقيماً للفصل في مقام الفصل، « وقد جعلت ما عملت مدبجاً مدرجاً، لتلذ النفس بالانتقال من حال إلى حال، فقد جبلت على محبة التحول، وطبعت على اختيار التنقل ... إلا أن تندرج الحكاية في الحكايات، ويتسلسل البيت مع الأبيات، فيكون الجمع أزين من القطع، والتوصيل أحسن من التفصيل، فأقرنها بأشكالها وأجملها مع أمثالها »[49]، ولإثبات هذا القول نتوقف عند نماذج من أخبار الموفقيات من خلال نقطتين:

**الأولى**: تكرار الأخبار، فقد يتكرر مضمون الخبر في أكثر من موضع من الكتاب، غير أن السياق في كل ورود يتباين مع الآخر، ولنسق مثلاً على هذا ما ذكره ابن بكار من أخبار حاتم[50] الطائي مع رجل يدعى أبو الخيبري حين مر مسافرا مع قومه بقبر حاتم، فأراد إبطال قول من يقول: إنه لم ينزل بحاتم أحد إلا قراه، فصار ينادي طوال الليل طالبا القري، وما أن نام حتى هب يقول: راحلتاه راحلتاه، فسئل فقال: إن حاتماً عقر ناقتي، فنظروا فإذا هي عقرى فنحروها وظلوا يومهم معرسين يأكلون لحمها.

وبعد الانتهاء من سرد الخبر تكرر مرة ثانية بإسناد مغاير وفي سياق مغاير أيضاً، فالمضمون المتقدم تكرر تماماً إلا أن الخبر الثاني خلا من زيادة تضمنها الأول، وهي أنه عند مغادرتهم قبر حاتم وإرداف أبي الخيبري خلف أحدهم رأوا راكب بعير يقود جملا، فتبين أنه عدي بن حاتم رأى أباه في منامه فأخبره الخبر وطلب منه أن يخلف أبا الخيبري هذا الجمل؛ إن الخبر الأول وارد في سياق الرواية المجردة، حيث كان مبتدأ الخبر « كان رجل يقال له: أبو الخيبري مر مسافراً ... »[51]، فاستطرد الراوي إلى تحولات ومتواليات إخبارية لها طابع الخيال والبعد عن الواقعية، في حين كان الخبر الثاني في حضرة أمير المؤمنين، وفي معرض الاستفهام والتوقف عند مقولة: إن حاتماً أجود الناس حياً وميتاً؛ فتضمن الخبر صبغة الجدل والدفاع عن الفكرة، وهذا مما

48- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت ج 1 ص 43.

49- الحصري، إبراهيم: جمع الجواهر في الملح والنوادر ص 6- 7. المطبعة الرحمانية، مصر، د.ت

50- ابن بكار، الزبير: الأخبار الموفقيات ص 408 وما بعدها.

51- المصدر نفسه.

يقتضي الالتزام والتوقف عندما يفي بالغرض ولا يعدوه إلى الاستطراد الخيالي الذي قد يسيء إلى تصوير الفكرة وإفقادها عنصر الإثارة والواقعية، فكان مستهل الخبر الثاني: « اجتمع عند معاوية بن أبي سفيان جماعة فتذاكروا الجود والسخاء، فقال رجل من القوم: أجود الناس حياً وميتاً حاتم، قال معاوية: فكيف ذلك ؟ فوالله إن الرجل من قريش ليعطي في مجلس واحد ما لم يكن حاتم يملك مثله ولا قومه » (52).

**الثانية**: وهي عرض الأخبار المتنوعة والمتباينة في الموضوع عقب بعضها، على نحو يوحي بالعشوائية، غير أنني أرى أن هذه الموضوعات المختلفة يجمعها جامع لا يعدم الباحث أن يدركه ويتبينه.

ولنأخذ أنموذجاً يتكون من أربعة أخبار متوالية مما استهل به ابن بكار أخباره الموفقيات لإثبات القاسم المشترك بينها، مع سوق ما يكفي للإبانة من مضمون وسياق:

**الخبر رقم (1)**: يتضمن الخبر استياء الخليفة المنصور من بعض ساسته فأظهر إعجابه بالحجاج وتمنى لو كان معه أحد مثله يكفيه شئونه، وكان يقصد بالاستياء: معن ابن زائدة، فقال معن: « يا أمير المؤمنين إن لك مثل الحجاج عدداً من أصحابك لو استكفيتهم كفوك، قال: ومن هم ؟ كأنك تريد نفسك، قال: وإن أردتها فمه ؟ قال: كلا لست هناك، إن الحجاج ائتمنه قومه فأدى إليهم الأمانة، وائتمناك فخنتنا »(53).

**الخبر رقم (2)**: يتضمن الخبر موقفا فكاهيا يوحي ببساطة التفكير والجنوح للإيقاع بالآخرين، حيث وفد أحد المخنثين المدينة فسأل عن مكان تجمع المخنثين، فقاده المسئول إلى دار صاحب الشرطة فأوقع به(54).

**الخبر رقم (3)**: ويتضمن استعداء امرأة على زوجها لدى الأمير الذي يلقب بأبي صفية، وهو لا يرتضيه، فجعل الزوج يكرر اللقب أمامها قبل مثولهما أمام الأمير ليقع في ذهنها أنه كنيته فتقع فيما لا يرتضيه الأمير، فلما حضرت ما انفكت تناديه وتقول: يا أبا صفية كذا ويا أبا صفية كذا ...، حتى ضجر منها وقضى بظلمها(55).

---

52- ابن بكار، الزبير: الأخبار الموفقيات ص 410.

53- المصدر نفسه ص 32.

54- المصدر نفسه.

55- المصدر نفسه ص33.

**الخبر رقم (4):** ومضمونه أن رجلاً قال لصاحب له إني أريد أن أصل صاحباً لي له علي حق الصحبة فأشر علي فيما تراه كافياً وموفياً لقدره؛ فما زال به إلى أن بلغ المبلغ -الذي ارتضياه وبان لهما أنه يفي بهذه الصحبة- مائة ألف درهم، فقال الرجل هي لك وما أردت غيرك(56).

فهذه أربعة أخبار تنوعت موضوعاتها بين السياسة والنوادر والظرف والقضايا الاجتماعية؛ وما نلحظه في الأول أن البنية السردية تقوم على توبيخ معن بن زائدة، فجاء توبيخه على حين من الغفلة التي يوحي بها ذهابه إلى قصد إقناع المنصور بما عنده من أمثال الحجاج وهو في طليعتهم، فإذا به يجازى بخلاف مبتغاه، وعلى درجة من الاستغفال وعدم التهيؤ لذلك.

أما الخبر الثاني فبنيته السردية تقوم على الإيقاع بالمخنث عندما دُل على دار صاحب الشرطة معتقداً أنها دار مخنثين فكان على غفلة من أمره. أما الخبر الثالث فبنيته السردية تقوم على الإيقاع بالزوجة أمام الأمير فأصبحت تناديه: يا أبا صفية غافلة عما هي فيه من كرهه للقب. وأما الخبر الرابع فأساس سرديته إكرام مخاطبه بما يرضي المخاطب، فكان أن حدد المخاطب -الصاحب المقصود بالإكرام- قيمة الصلة دون أن يكون عالماً بأنه هو المقصود فكان غافلاً عما يراد به.

إذاً فالقاسم المشترك بين هذه الموضوعات المختلفة من حيث الشكل هو الغفلة والاستغفال فيما تقوم عليه البنية السردية في جميعها، وهذا ينم عن وجود خطة يسعى الإخباري ابن بكار إلى اتباعها في ترتيب أخباره، فحينا يعمد إلى ضم المماثل إلى بعضه، وحينا يخالف فيتبعه بغيره، وبإدراك هذا الرابط في الأخبار المتنوعة وإدراك السياق في الأخبار المتكررة يتعين علي القارئ ألاّ يغفل ما انتهى من قراءته لارتباطه بما قبله ولبناء ما بعده على أساس منه، وبهذا يكون ما ظن أنه اضطراب في ترتيب الأخبار دليلاً على عظمة دور ابن بكار الذي لم يعد مقتصراً على القيام بدور الوساطة بين مصدر الخبر ومتلقيه، بل تعداه إلى وضع الصلات بين النصوص الإخبارية، وإنشاء علاقات متنوعة بينها، فتكون الأخبار وحدات سردية مستقلة وفي الوقت ذاته وحدات سردية تابعة لما قبلها متعلقة بما بعدها، ولا تدرك سماتها إلا بمقدار ما تمثل بين بُناها من علاقات ووشائج.

56- ابن بكار، الزبير: الأخبار الموفقيات ص 34.

## قائمة المصادر والمراجع


1. إسماعيل، عز الدين: المكونات الأولى للثقافة العربية، أبوللو للنشر والتوزيع. القاهرة. ط 6.
2. الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت. ط. 2. 1992 م.
3. بلاشير، ريجيس: تاريخ ا لأدب العربي. ترجمة: إبراهيم الكيلاني. الدار التونسية للنشر.
4. ابن بكار، الزبير: الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي العاني، مطبعة العاني. بغداد.
5. التهانوي، المولوي محمد: كشاف اصطلاحات الفنون، شركة خياط للكتب والنشر. بيروت.
6. الجابري، محمد: تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ط 8. 2002 م.
7. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون. دار الجبل. بيروت 1991م.
8. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوى. دار صعب. بيروت.
9. حسين، طه: في الأدب الجاهلي، مطبعة الاعتماد. مصر. 1927 م.
10. الحصري، إبراهيم: جمع الجواهر في الملح والنوادر، المطبعة الرحمانية. مصر.
11. الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر. بيروت. ط 2. 1995 م.
12. ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، دار الجيل. بيروت.
13. خلف الله، محمد: صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني، مطبعة نهضة مصر. القاهرة، ط 1. 1953 م.
14. حاجي، خليفة: كشف الظنون من أسامي الفنون، دار الفكر. 1982 م.
15. الطبري، محمد: تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. القاهرة.
16. العسكري، أبو هلال: كتاب الصناعتين، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت. 1986 م.
17. القاضي، محمد: الخبر في الأدب العربي، كلية الآداب. منوبة. تونس. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ط1. 1998 م.

18. القالي، إسماعيل: الأمالي، دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1996 م.
19. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: عيون الأخبار. دار الكتب العلمية. بيروت.
20. ابن منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير. مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد الدكن. الهند. 1347 هـ.
21. ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف. القاهرة.
22. ابن النديم، محمد: الفهرست، دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1996م
23. الوشاء، محمد بن أحمد: الموشى أو الظرف والظرفاء، شرح: عبد الأمير مهنا. دار الفكر اللبناني. بيروت. ط1. 1990 م.
24. يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. ط3. 1997 م.